جامعة ديالى
كلية الفنون الجميلة
قسم التربية الفنية / المرحلة الثالثة
المادة – المسرح المدرسي

محاضرة بعنوان (نظرة تأريخيه على بدايات المسرح المدرسي العراقي)

إعداد
((م.م حسين محمد علي))

نظرة تأريخيه على بدايات المسرح المدرسي العراقي
نشأة المســـرح المدرســـي وضـــــرورته التاريخيـة

أن تأريخ المسرح المدرسي في العراق حافل بالتجارب والدروس والعبر التي يمكن أغفالها حيث يعود تأريخ المسرح المدرسي إلى نهايات القرن التاسع عشر عندما كانت أكثر المدارس تقدم أنذاك عروضاً مسرحية للجمهور يشارك فيها المعلمون والتلاميذ . ويعتقد المؤرخون الذين بحثوا في النشاط التمثيلي إلى أن بدايات المسرح العراقي الحديث كان مسرحاً مدرسياً في جذورها وقد أفرز المسرح المدرسي كتاباً ونقاداً على مستوى الكتابة والتنظير في الدراما إلى جانب ما قدمه في مراحل متعددة من فنانين , ممثلين ومخرجين وعاملين في مجال الاحتراف المسرحي , كما أستطاع تسليط الضوء على طبيعة ومضمون المسرحية العراقية وأسلوب كتابتها في المراحل الأولى لنشوء المسرح المعاصر في العراق وحدد لنا أهداف المسرح وضرورته رابطاً إياه بالعملية التربوية من جهة وعلاقته بحياة المجتمع من جهة أخرى . أن تأريخ المسرح المدرسي في العراق قدم لنا نماذج عديدة لأسلوب التعامل مع النص الأجنبي والمحلي وكذلك كيفية التعامل مع التراث العربي والإنساني بأشكال مختلفة.

كما أكد منذ البداية الهوية الوطنية والقومية والتربوية والاجتماعية للمسرح العراقي باعتباره وسيلة للتوعية الاجتماعية والسياسية إضافة إلى أنه وسيلة لتطوير دائرة ثقافة التلميذ والمواطن بالتأريخ والحضارة إلى جانب كونه اداة للحفاظ على اللغة وأشاعتها ونطقها وأكدت جميع تلك الوسائل على قومية الثقافة في مراحل الاحتلال العثماني والإنكليزي . وهذا لا يعني أن المسرح المدرسي لم يكن وسيلة من وسائل الترفيه والامتناع للعاملين والمشاهدين وحسب . بل حقق من ذات الوقت مردودات عالية أستفيد منها في المشاريع والجمعيات الخيرية في بناء وتوسيع المشاريع.

كما ساعد عبر تأريخه الطويل على تكوين شخصيات الذين عملوا فيه وأصبحوا فيما بعد علامات مهمة في المجالات الوطنية والثقافية والسياسية في تأريخ العراق الحديث وهذا يؤكد قدرة المسرح على بناء شخصية الفرد لتعي حركة المجتمع وتدرك سبل التكييف مع الواقع والحياة.

ويمكن القول بثقة كبيرة أن المسرح المدرسي كان النواة الأولى التي منحت المسرح المعاصر كوادر مهمة نقلته إلى مستويات عالية في التطور والجودة وأقرب مثال على ذلك رواد المسرح العراقي والفنانيون الذين ظهرت مواهبهم وقدراتهم خلال الممارسات الفنية الأولى داخل المدرسة والتي يشيرون بأستمرار إلى فضلها في توجيههم اللاحق.

لقد أستطاع المسرح المدرسي العراقي أستلهام التأريخ والتراث العربي وتجسيده كسيد ومواقف وأحداث ودلالات ومواضيع بهدف تقريباً إلى ذهن الناشئة ووعيهم ليستطيعوا فهم هذا التأريخ الذي تفصلهم عنه قرون عديدة وذلك للأستفادة من معانيه وأفكاره الكبيرة في حياتهم اليومية ومن أجل تعميق الوعي القومي وتحليل ماضي الأنسان العراقي للأهتداء به في حاضره وأستشراف المستقبل على ضوئه لتأكيد أهمية الشخصية العربية والعراقية , وترسيخ الثقة بالنفس وبالمستقبل وبحتمية الأنتصار على التخلف والأستعامر بكل أشكاله القديمة والجديدة.

ويساهم إضافة إلى ذلك في العملية التربوية وتعميق المفردات الدراسية لدى التلاميذ بشكل أفضل.

ومن تقاليد المسرح المدرسي الحفاظ على اللغة العربية كوسيلة للتعبير في المسرح والتعريف بآدابها وأدبائها . حتى أن المسرح واللغة العربية أنضويا تحت لجنة واحدة في المدراس مثل لجنة الخطابة والتمثيل أو لجنة اللغة العربية والمسرح .
ومن أهم ما أضطلع به المسرح المدرسي بجدارة أثناء الأحتلال العثماني هو صياغة اللغة العربية من التشويه والحفاظ على سلامتها وصفاتها مما أكد أهمية وحضور هذا المسرح ومكانته في المجتمع.
ومن نشاطاته تعميق فعالية المدرسة في الحياة الأجتماعية من خلال تقديم العروض المسرحية للمشاهدين وذوي الطلبة والمشرفين فقد حرصت الكثير من المدارس على تأكيد حضورها في المناسبات الوطنية والدينية والأجتماعية كبداية السنة الدراسية ونهايتها . من خلال عروض توظيف لتجسيد هذه المناسبات وتأكيد أهميتها .
وأهتم المسرح المدرسي بعرض مواضيع تتعلق بحياة الطالب وعلاقته مع العائلة والمجتمع والمدرسة إضافة إلى مواضيع توضح أهداف التعلم وأهمية المعلم ومكانته في الحياة إلى جانب التأكيد على النموذج المتميز للطالب والسلوك القويم الذي يوصله العرض المسرحي عن طريق الصراع والأرشاد والتجربة بحيث نجد أن هذه المسرحيات كانت تساعد ذوي الطلبة على تفهم أبنائهم وإدراك رغباتهم وتساعدهم في الوقت نفسه على ممارسة النقد الذاتي لسلوكهم وتصرفاتهم الخاطئة في تربية أبنائهم تلك التربية التي تتعرض لها المسرحيات موضحة كيفية كونها سبباً في فشل التلاميذ.
ورغم أن مواضيع المسرحيات التي أشرنا إليها كانت أخلاقية تربيو ألا أن بعضها كان مثالياً في طرحه وأحادي الجانب في عرض النموذج ألا أن هذه المسرحيات لم تتطور لتواكب التقدم الأجتماعي بل كانت تتفاوت في نضجها ومعالجتها حسب أدراك المعلم الذي ألفها . وهذا يعني أنها لم تكن مرتكزة على خط منهجي بقدر ما هي خاضعة وموظفة للمعاناة النفسية والأجتماعية والمهنية في حبته اليومية .
وهناك رغم ذلك مسرحيات أخرى كانت نواة صالحة لرسم منهم ومسار واضح لهذا

المسرح . ومنها تلك المسرحيات التي هيأت التلميذ لأن يكون مخلصاً ومواطناً صالحاً والتي تتحدث وتسلط الضوء على خدمة العلم . والتي تناولت العمل الجاد وأختيار المهنية والتفكير بالمستقبل.

أن كل هذه القيم والتقاليد والأهداف كانت بدراً لأن يحتل المسرح المدرسي مكانه متميزة ولها أهميتها في دوائر التربية حيث أقيمت له دائرة مهتمة بالنشاط المسرحي في المدارس تعتمد على كادر مؤهل لقيادة هذه العملية وخطط وبرامج أستوجبت تقسيمات أدارية تشمل المحافظات والأقضية وحتى القرى تعرف بأسم) دائرة النشاط الفني (تشرف على الكادر الفني الذي يقود عملية الأشراف المسرحي إلى جانب تهيئة النصوص والقاعات كما تشرف على المهرجانات المدرسية منها والقطرية والتي صارت تقليداً متميزاً يحظى برعاية وأهتمام جميع العاملين في المسرح على أختلاف مستوياتهم .

وتحدد ظهور النشاط المسرحي في العراق الحديث خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ولم يتفق الباحثون والموثقون حتى الآن على تأريخ) يوم – شهر – سنة (لبداية هذا النشاط , ومن كان أول رائد له . ألا أن الاشارات قد كثرت إلى ما كان يعرض ويكتب خلال سنوات التأسيس التي تمتد إلى عام1921 م , أذ أنفصل العراق عن الأمبراطورية العثمانية , وكون دولته الجديدة التي تولت تشريع القوانين والأنظمة والتعليمات التي حاولت تنظيم المجتمع , وكان للحياة المسرحية نصيب في ذلك فقد صدر أول قانون للجمعيات عام1922 م الذي أجيزت بموجه الفرق التمثيلية والجمعيات الفنية.

غير أن هناك أتفاقاً على أن مدينة الموصل في محافظة نينوى قد شهدت بدايات النشاط المسرحي في العراق , وفيها طبع أول كتاب مسرحي عام1893 م , أحتـــــوى مسرحية) لطيف و خوشابا (التي تولى) نعوم فتح الله سحار (ترجمة نصها عن اللغة الفرنسية وأسقاط موضوعها على واقع المجتمع العراقي وصيغ حوارها بلغة دارجة , وأن ما حققه) نعوم فتح الله سحار (1900-1855) (نضجاً في وعيه بأهمية المسرح كرسالة أجتماعية وشكلاً فنياً جميلاً وفي ذلك دلالة

أخرى تتمثل في وجود نشاط مسرحي جار , له أنجازات تحققت في زمن مضى لا يقل أمده عن أو أكثر من السنين البسيطة ومن ذلك النشاط الذي سبق) لطيف وخوشابا , (أن الخوري هرمز نورسو الكلداني الماردیني قد كتب مسرحية تأريخية عن) نبوخذ نصر (التي قدمها عام1888 م على مسرح المدرسة الأكليريكية في مدينة الموصل , ومن قبلها كانت هناك تمثيليات دينية تعرض داخل الأديرة , مثل) كوميديا آدم وحواء (و) يوسف الحسن (و) كوميديا طوبيا (والتمثيليات الثلاثة أرتبطت بأسم) الشماس جنا حبش , (والتي عثر عليها عام 1966م , وقد ختمت بختم يشير إلى سنة1880 م . وهناك عروض عديدة , قدمت في نينوى و بغداد خلال العقدين الأولين من القرن العشرين , وكانت هذه العروض تقدم من قبل المدارس ويتولى المعلمون أخراجها ويقوم الطلبة بتمثيلها , وفي أطار هذه المدة شاهد الجمهور عروضاً باللغات العربية والفرنسية والأنكليزية.

ومن أقدم المدارس التي أشتهرت بنشاطها المسرحي في الموصل) محافظة نينوى (هي مدرسة) القاصد الرسولي (و) المدرسة الأكليريكية للأباء الدومينيكيين (و)مدرسة شمعون الصفا . (وفي بغداد أيضاً وجدت مدارس تابعة للمؤسسات الدينية)المسيحية خاصة (كانت تمارس النشاطات المسرحية , التي كانت تشرف عليها لجان تضم الهواة من الطلبة ومعلميهم , مثل) مدرسة الصنائع (ومن تلك العروض نشير إلى أربع مسرحيات هي-:

-)وفاء العرب (ومثلها في بغداد طلبة مدرسة الكلدان في النصف الثاني من تشرين الأول عام , 1920 وهي من تأليف أنطوان الجميل.
-)وفود النعمان على كسرى أنو شروان (وقد عرضت عام1920 م وخصص ريعها لمنفعة الثوار.
-)فتح الأندلس على يد طارق بن زياد (وهي من المسرحيات التي قدمت عام , 1920 وقد خصص ريعها لمنفعة ثورة العشرين.

-)صلاح الدين الأيوبي (وهي أول مسرحية تعرض على مسرح مدرسة أسلامية في الموصل , وقد أخرجها أرشد أفندي العمري مهندس البلدية عام 1921م.

المسرحيات التي ألفها القسس في الموصل وبغداد , ويرجع أهتمام قسم من معلمي المدارس بالنشاط المسرحي في المدارس نتيجة لدراستهم في الغرب وعلى نحو خاص في أيطاليا وفرنسا وكذلك تركيا , ونتيجة للعلاقة الثقافية والأجتماعية التي كانت قائمة بين العراق وبلاد الشام في ذلك الوقت لأن) أهل العراق قد عرفوا الغرب وثقافته عامة ومسرحة خاصة , بقراءة ما نقله أخوانهم السوريون والمصريون (فضلاً عما كان يقرأه بعضهم باللغة التركية مترجماً عن الغرب وكانت المصادر التركية من أهم المصادر نتيجة لارتباط العراق بالدولة العثمانية وأتقان المثقفين اللغة التركية , بل أن التركية كانت لغة المدارس انذاك ولغة الصحافة ولغة دواوين الدول , وكان عدد من العراقيين يدرسون في أسطنبول.

أن المسرح المدرسي في العراق قدم لنا نماذج عديدة لأسلوب التعامل مع التراث العربي والأنساني بأشكال مختلفة , كما أكد منذ البداية الهوية الوطنية و القومية والتربوية والأجتماعية للمسرح العراقي لأنه وسيلة للتوعية الأجتماعية والسياسية كما أنه وسيلة لتطوير دائرة ثقافة التلميذ والمواطن بالتأريخ والحضارة إلى جانب كونه أداة للحفاظ على اللغة وأشاعتها ونطقها وأكدت جميع تلك الوسائل قومية الثقافة في مراحل الأحتلال العثماني والأنكليزي.

وتجدر الأشارة إلى أن أغزر المؤلفين في ذلك الوقت هو) حنا رسام (الذي ألف عشرات المسرحيات في مدارس الموصل وقد) أعتمد كتاب المسرحية التعليمية المدرسية في العراق على موضوعاتهم من التأريخ والقصص الشعبية والكتاب المقدس وركز بعضهم على أحداث البطولة العربية كما فعل) جرجس قندلا , وسليم حسون , وحنا رسام , وحنا رحماني. (

وسيمكننا أن نقول وبثقة عالية جداً أن المسرح المدرسي كان هو " النواة الأولى التي منحت حركة المسرح كوادر مهمة نقلته إلى مستويات عالية في لتطور

والجودة وذلك يؤكد من جديد أن التمثيل يساعد في مجال التطور اللاحق للأبداع الفني للأنسان إذ يكون مقتدراً على التجسيد الفني نفسه , وأقرب مثال لنا رواد المسرح العراقي وفنانوه الكبار الذين ظهرت مواهبهم وقدراتهم خلال الممارسات الفنية الأولى داخل المدرسة , فهم يشيرون بأستمرار إلى أفضل هذه البدايات في توجههم اللاحق. "

ولم يقتصر النشاط المسرحي على معلمي مدارس الموصل إذ سرعان ما أنتقل هذا النشاط إلى بغداد خلال السنوات الأُول من القرن العشرين , وكان طلاب مدرسة الكلدان ومدرسوها في بغداد مركز النشاط الفني المسرحي الجديد , ولعل أشهر أعمالهم مسرحية) سلستر أو الوطن (عام 1918 ومسرحية) شهيد الدستور مدحت باشا (لمؤلفها نامق كمال والتي قدمتها مدرسة السريان الكاثوليك في نفس العام.

وبعد أن تأسس الحكم الوطني في العراق بداية العشرينيات , نشط المسرح المدرسي وتوسعت حركته فقد) ظهرت الحركة التمثيلية أولاً في المدارس ثم أمتدت إلى خارجها , وكانت الحركة هذه المرة قد تجاوزت نطاق المدارس في بغداد كما حدث في الموصل وراحت تحظى بأهتمام الأوساط المثقفة.

وأستمر الأهتمام الكبير بالنشاط المسرحي في كثير من المدارس , فقد تشكلت في عام1926 م في مدرسة دار المعلمين – فرقة تمثيلية مدرسية أخرى ترأسها الصحفي الفكاهي) نوري ثابت (صاحب جريدة) حبزبوز (وقدمت الفرقة عدة حفلات على مسرح الثانوية المركزية في بغداد , وكان من أبرز نتاجاتها مسرحية هزلية بعنوان) الصراف أبو روبين . (وهذا لا يعني أن المسرح المدرسي لم يكن وسيلة من وسائل الترفيه والأمتاع للعاملين والمشاهدين إذ حقق في ذات الوقت جمع مبالغ كبيرة أستفيد منها في المشاريع والجمعيات الخيرية من بناء وتوسيع أو مساعدة المعوزين والقاصرين أو تطوير مشاريع ثقافية وسياسية وأسنادها , كما ساعد المسرح المدرسي عبر تأريخه الطويل على تكوين وتطوير شخصيات عملوا فيه وأصبحوا فيما بعد علامات مهمة في المجالات الوطنية والثقافية والسياسية في

تأريخ العراق الحديث وهذا يؤكد أن المسرح قادر على بناء شخصية الفرد وصقلها لتعي حركة المجتمع وتدرك سبل التكيف مع واقع الحياة.

وتعد الثلاثينيات مرحلة جديدة وبارزة في تأريخ الحركة المسرحية في العراق إذ كانت هذه المرحلة) أكثر ثباتاً من سابقتها القلقة الخائفة , وأوسعها قدرة على مواجهة المصاعب وأخصبها أنتاجاً فقد شيدت بنايات جديدة للمدارس تضمنت قاعات واسعة أستغلت لعرض المسرحيات , ثم أن بعض المستلزمات التي كانت مفقودة في المرحلة السابقة قد توفرت (وثمة خطوة مهمة خطاها الكتاب العراقيون حينما أدركوا القيمة الكامنة في العمل المسرحي , وهي أسهامهم في التأليف المسرحي.

فضلاً عن تأسيس فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة عام 1936 على يد) حقي الشبلي (بعد عودته من الدراسة في فرنسا , وتنوعت النشاطات المسرحية في المدارس التي كثرت في الحقبة الزمنية .

وأستمر نشاط المسرح المدرسي بالتواصل والأستمرار والأنتشار الى محافظات العراق الأخرى , وكثرت الفرق الفنية ومن أنشـــــــط المؤلفين المسرحيين في الأربعينيات هو) شهاب القصب (الذي عرف بولعه الشديد بالتمثيل وهوايته المخلصة للتأليف المسرحي , فقد أشترك في المسرحيات الشعبية التي كنت تقدم على مسارح المدارس التي درس فيها) كالغربية المتوسطة والأعدادية المركزية , ودار المعلمين الأبتدائية (كما أن القصب ألف عدداً من المسرحيات التي تعد من خيرة المسرحيات العراقية التي ألفت وطبعت ومثلت في ذلك الوقت ومنها) المعذبون في البيت , عودة الولد المهذب , وكارت البيك , وقيس وليلى في القرن العشرين , ومشكلة زواج (والأخيرة أخرجها القصب بنفسه عام 1945 في الأعدادية المركزية.

وأستمر المسرح المدرسي بتدفقه وواصل نشاطه وأستمرت المدارس ولجانها الخاصة بتقديم الأعمال المسرحية , ولكن هذه الأعمال لم تخرج عن حيز المسرح المدرسي وبقيت محبوسة داخل جدران المدارس.

وفي عام1953 م جرى تحول كبير في تأريخ المســـــرح المدرسي , فقد بادر لأول مرة) الفنان عبد القادر رحيم (بإخراج المسرحية المدرسية من حدود المدرسة إلى القاعة الكبيرة في مسرحية) عاقبة الطمع (التي عرضت على قاعة الشعب أنذاك.

وعند مطلع الستينيات خرج المسرح من نطاق أشراف معلم اللغة العربية ورعاية المدرسة إلى رعاية مديرية خاصة بهذا المجال تدعى) مديرية النشاط المدرسي (تقوم بالأهتمام بالنشاطات المدرسية وقامت هذه المديرية بجلب الكوادر المتخصصة للأشراف على هذه النشاطات وكانت على رأسها في تلك الحقبة أسعد عبد الرزاق ومرسل الزيدي ووجيه عبد الغني وطه سالم وحمودي الحارثي وغيرهم .